وسائل التناسل

التناسل ضروري لبقاء النوع وانتشاره فهو من لوازم كل حي مهما كانت درجتهُ من الحياة . وسنأتي في هذه المقالة على اهم طرقهِ واعمها بين الاحياء استدراجاً الى بحث سهل في مسألة الزواج

١ — اصل الجنس

كل انواع الاحياء الدنيئة ذوات الخلية الواحدة وبعض ذوات الخلايا العديدة ليس لها جنس ما اي انها تتناسل بغير التزوج وكيفية تناسلها يكون اما بالانقسام واما بالبرعمة او بالتغصين

وكيفية الانقسام فهي ان الخلية متى شبعت وكبر حجمها انقسمت الى نصفين واستقل كلٌّ منهما بنفسهِ وعاش الى ان ينقسم . وهلمَّ جرًّا . وكيفية البرعمة او التغصين معروفة مشاهدة في بعض النباتات ومعلومة في بعض الحيوانات لدى البيولوجيين . وتعليل انقسام الخلية وعدم استمرارها في النمو هو انحطاط جهازها العصبي وعجزهُ عن ادارة شؤون جسم كبير وما يؤدي اليهِ هذا العجز من تعريض النوع لخطر العظيم اذ ربما يؤول جرح الخلية الى موتها وموت النوع بذلك . فانقسامها وعدم استمرارها على تغذية نفسها انما هو طريقة تحفظ بها نوعها لانها بانقسامها تقدم لجهازها العصبي المنحط جسماً صغيراً لا يحتاج الى دقة كبيرة في ادارتهِ من جهة وتحفظ بهِ نوعها من خطر الانقراض لانهُ ما يقتل او يبيد بعضها في حالة انقسامها لا يبيدها كلها ولكنهُ قد يبيدها كلها في حالة نموها غير منقسمة

فالتناسل بذلك ضروري لحياة الخلية الدنيئة وبالتالي ضروري لكل حي

والمبدأ الجاري في انقسام الخلية هو عين المبدإ الجاري في البرعمة والتغصين . لان التغصين انقسام متصل بحيث ان ما يصير بعض الخليات لا يضر باقيها

وهنا نصل الى طريقة في التناسل ارقى واقصد من الطرق المذكورة آنفاً . نعني بها طريقة الجنس او التناسل بواسطة الذكر والانثى

لما ارتقت الاحياء وخرجت عن بساطتها الاولى وجدت — اي وجد الانتخاب الطبيعي لها — ان طريقة التناسل بالبرعمة والتغصين طريقة بطيئة كثيرة الكلفة قليلة الجدوى في نشر النوع وتقويتهِ . فعمدت الى طريقة الجنس اقتصاداً في الغذاء الذي يقدَّم للنسل

الجديد وتقوية لهُ اذ يجوز بواسطة هذه الطريقة غرائز وتجارب حيين — الاب والام — بدلاً من حي واحد كما في التناسل بالبرعمة . لهذا السبب يقي بعض الاحياء للآن — حيواناً كانت او نباتاً — يبرعم ويغصن اذا كثر لديهِ الغذاء ولم يرَ حاجة الى الاقتصاد ولكنهُ يقي بذورهُ اذا حل بهِ جوع او شبه جوع

ولهذا السبب ترى بعض الزراع يقطعون او يجرحون جذور اشجار الفاكهة قبيل الاثمار ليقل بذلك غذاؤها فتكثر من الاثمار التي تحوي البذور — وهم في ذلك انما يوهمون الشجرة بالخطر المحدق بنوعها وبما من قلة الغذاء فتكف عن التغصين وتلجأ الى الاثمار

والفلاح المصري يعرف هذا الامر ويجري عليهِ دائماً . فسمادهُ ان السماد ضروري ولكن الى حد محدود لا يتعداهُ خصوصاً في القطن . والاَّ كثرت اغصانهُ وقل لوزهُ

٢ — وسائل التناسل في النبات

يتناسل النبات بطريقتين . الاولى طريقة البرعمة او التغصين وهذا معروف مشاهد كما اذا قطعت غصناً وزرعتهُ فانهُ ينمو . والثانية طريقة الجنس وهذه تكون بواسطة الاثمار او البذور . والبذرة او النواة التي في الثمرة بيضة ملقحة قابلة النمو فهي بمثابة بيضة الدجاجة . وبعض الاشجار يكون ذكراً وانثى في آن واحد كالقطن والتفاح والتين و بعضها ينفصل فيهِ الذكر عن الانثى كالنخل والصنوبر وتعتمد الانثى في التلقيح على الرياح او الحشرات او الطيور الحاملة للقاح . فالنخل مثلاً يحمل لقاح ذكر الورد الى اناثه . والرياح تحمل احياناً لقاح ذكر النخل الى اناثه . ولهذا السبب تفرز شجرة الورد عصيراً عسلياً اجتذاباً للنحل الذي ربما لقح الشجرة من لقاحها نفسهِ

والنبات حريص على نسلهِ يكلف نفسهُ كل عناء في سبيل مصلحة ذراريهِ فهو يصنع الاثمار ويملأها بالشهي من الشراب لكي تأتيهُ الطيور وتحملهُ الى اعشاشها فتأكل الثمرة وتلقي النواة بعيدة عن امها حيث تستطيع ان تتغذى من ارض خصبة . كأن الام تعرف انها اذا اسقطت ثمرتها تحتها فضت عليها لانها انما تلقيها على ارض امتصت هي بجذورها كل ما فيها من الغذاء ولم تبقِ فيها مجالاً لنمو غيرها

واظن ان الاصل في شعر القطن هو رغبة هذه الشجرة في تهيئة بزرها لان تحملهُ الرياح وتبعدهُ عن امهِ حيث يستطيع الغذاء . واعرف شجرة تجهز بذرها بهيئة كالمظلة اذا انفصلت عن الغصن طارت بعيداً عن امها ولعل شجرة القطن لقصد مثل هذا القصد

وقد قرأت وصفاً لشجرة يالفت في بلوغ هذا القصد . فانها تهيء بذرها بشبه كيس

يفرخ عند نضج البذور ويلقيها بعيداً عن الام نحو عشرين متراً [1] وقد يصيب الواقفين بقربه فيؤلمهم

٣ — وسائل التناسل في الحيوان

بعض الحيوانات يحوي في نفسه عناصر الذكورة والانوثة كبعض النبات مثل السرطان . فهو يلقح نفسهُ ويلد من ذاته

وبعضها يعرى وليس لهُ جنس كبعض الحيوانات البحرية

واكثر الحيوانات يستعين على حفظ نوعهِ واكثارهِ بقوتهِ الجسدية وذلك بتقتل مزاحميهِ على الانثى او ابعادهِ عنها . وهذا العمل يؤول طبعاً الى بقاء الاقوى فالاقوى

وقد قال دارون ان بعض الطيور والحيوانات تجتذب الانثى بجمال الوانها مثل الطاووس والبعير على ان الرأي الغالب الآن في هذه المسألة هو ان الوان الحيوانات نشأت لمجرد الاختفاء عن الفريسة والمفترس ولذلك ترى البير يشبه لونهُ لون الغابة التي يعيش فيها وترى الغزال يشبه لونهُ لون الصحراء التي يسرح فيها وهلم جرًّا

وهنا الاحظ شيئاً مهماً وهو ان الاستقراء لا يدل على ان بين الحيوانات نفوراً من التزاوج مع الاقرباء . فاذا كان هذا النوع من الزواج مضرًّا حقيقة بالنسل كما يقول الاطباء فقد كان ينتظر ان يكون الانتخاب قد زرع بعض بذور الكراهة لهُ او النفور منهُ في الحيوانات حفظاً لها كما فعل في امور كثيرة من هذا القبيل

٤ — وسائل التناسل في الانسان

يمتاز الانسان عن الحيوان والنبات بانهُ لا يطيع الطبيعة طاعة عمياء ويجري على الطريق الذي مهدتهُ لهُ غرائزهُ مثلما . اذ هو ابداً معارض لنواميس الطبيعة يحتال عليها ويقاومها وما المدنية في الحقيقة من علوم وفنون — كما هي الآن — الاَّ حيل يقصد بها المرء من نواميس الطبيعة

فالطبيعة تقول ان المريض يمرض لينتهي مرضهُ بالموت والطب يحضر لهُ دواء لينجيهُ منهُ

والطبيعة تقول لا يحسن ان يتناسل غير القوي وتبيح لهُ ان يتزوج بكثيرات والشرائع المدنية تعاقبهُ اذا تزوج باكثر من واحدة وتسمح بالتزوج للضعيف كما تسمح للقوي

فالانسان بمدنيتهِ قد قاوم ناموس الانتخاب الطبيعي ووضع بدلاً منهُ انتخاباً صناعياً يؤول من كل وجوههِ الى حماية الضعيف وحفظ نوعهِ

[1] المقتطف غير الخروج بفعل ما يقرب من ذلك فانهُ يدفع بزرهُ ويلقيهِ بعيداً عنهُ

وقد تدرج الانسان في ادوار مدنيته من الاختلاط الجنسي المطلق الى الضرار ثم الى الضماد ثم الى الزواج الفردي اي الزواج بواحدة

والظاهر ان الانسان انشأ العائلة الحديثة على مبدإ الضرار — وهو زواج الرجل باكثر من امرأة — لان المرأة كانت ولا تزال عند زنوج افريقية من غنائم الظافر في القتال وجاه الرجل يعد بكثرة نسائه وجواريه

وقد شاع الضماد (وهو زواج المرأة باكثر من رجل واحد) بين بعض الطوائف زمناً وما زال بعض قبائل التبت وغيرها يجرون على هذه العادة . فالمرأة هناك اذا تزوجت باحد الرجال تصير بطبيعة الزواج زوجة لكل اخوته والاولاد ينتسبون الى الاخ الاكبر

على ان هذا الزواج لم يدم طويلاً ولم ينتشر كثيراً لانهُ مضر بالامة ويؤول الى انقراضها اذ يدعي ان النسل لا ينمو بتعدد الازواج الذكور والزوجة واحدة مثلاً ينمو بتعدد الزوجات الاناث والزوج واحد

وقد قال برنارد شو ان السبب الطبيعي الحقيقي في عدم اشغال النساء بالحرب ليس ضعفهنَّ او شهامة الرجال في تقديم انفسهم دونهنَّ لاخطار القتل بل هو مجرَّد توفيرهن لحمل وتكثير القبيلة بنسل دائم يعوض عليها ما تفقدهُ في الحروب سلامه موسى

[المقتطف] وقد استطرد الكاتب الى «ان الاغنياء والموسرين يكونون في العادة اكفأ واقدر واصح جسماً وعقلاً من الفقراء والمعوزين فمن مصلحة الامَّة ان يتزوَّج اغنياؤها بنساء كثيرات فينشروا نوعهم فيها ويزيدوا كفاءتها كما ان من مصلحتها ان يقتصر الفقراء على الزواج الفردي لكي يقل نوعهم في الامة».

وفاتهُ ان الغنى ورفاهة المعيشة من الاسباب الطبيعية التي تقلل النسل كما ذكر في مقالتهِ قبلاً . ثم ان الضرة التي يتزوج بها الغنيُّ مع زوجتهِ الاولى مختصة من الفقير لان عدد النساء لا يزيد على عدد الرجال بل قد ينقص عنهُ فكأن هذه الزوجة تركت رجلاً تلد منهُ اولاداً كثاراً لتقترن برجل تلد منهُ اولاداً قلالاً . واذا تزوج نصف الرجال زوجتين زوجتين اضطر النصف الآخر ان يبقى بلا زوجات ولقد بقي الضرار شائعاً في هذا القطر اكثر من الف سنة فقلَّ سكانهُ ولم يزيدوا

هذا اذا نظرنا الى المسألة من الجهة الطبيعية كما هو غرض الكاتب لا من الجهة الدينية